مجلة كلية الآداب / جامعة البصرة / العدد ١٧ / ١٩٨١

نفوذ الجبور في شرق الجزيرة العربية
بعد زوال سلطتهم السياسية
(٩٣١/ ١٥٢٥ - ١٢٨٨/ ١٨٧١)

د. عبداللطيف ناصر الحميدان*

توطئة

يلاحظ المتتبع لما كتب عن تاريخ شرق الجزيرة العربية أن الدارسين لتأريخها يتجاهلون الدور الذي كانت تلعبه بعض القوى والزعامات القبلية في صنع أحداثها، على الرغم من أن بعض هذه الأدوار كانت في بعض الأحيان رئيسة إن لم تكن حاسمة. إن هذا التجاهل لهذه القوى ينقص الصورة الدقيقة لتأريخ المنطقة، وهو يعزي أساساً إلى افتقار هؤلاء الباحثين إلى معرفة الخلفيات التأريخية لبعض هذه القوى والزعامات. إن الجبور، وهم فخذ من أفخاذ بني عامر، تولوا الزعامة السياسية في شرق الجزيرة العربية خلفاً للعصفور بين، وكانوا من بين القوى التي لاحظنا تجاهل الباحثين لدورهم. وحيث أنه قد سبق لنا أن كتبنا عن تأريخ امارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية منذ ظهورها حتى سقوطها[1]، لذا كان علينا أن ننهض بمهمة متابعة الدور الذي أخذوا يلعبونه في الأحداث بعد زوال سلطتهم السياسية، لاعتقادنا أن الكتابة عنه سوف تساعد إلى حد كبير على استيفاء الصورة الكاملة لسير الأحداث في شرق الجزيرة العربية والدور الذي كانت تنهض به كل قوة في دفع عجلتها وصنعها، على إننا نستدرك ونقول، أنه ليس من مهمتنا في بحثنا هذا إعادة كتابة تأريخ المنطقة خلال الفترة التي سوف نمر بها، بل سوف يكون هدفنا منصباً أساساً على متابعة نشاط الجبور خلالها، مع الوقوف وقفات قصيرة عند بعض الأحداث كلما اقتضى الأمر ذلك.

(١) «التاريخ السياسي لإمارة الجيورفي» نجد وشرق الجزيرة العربية» ٨٢٠/١٤١٧ - ٩٣١/١٥٢٥. مجلة كلية الآداب - العدد ١٦ (١٩٨٠) ٣١-١٠٩.

- ١ -

نفوذ الجبور منذ زوال امارتهم حتى ظهور اليعاربة في عمان

إذا كان الجبور قد فقدوا سلطتهم السياسية على جزيرة البحرين أولاً وذلك عندما استولى البرتغاليون والهرمزيون عليها عام ٩٢٧ / ١٥٢١، وعلى كل من القطيف والاحساء ثانياً باستيلاء الشيخ راشد بن مغامس بن صقر أمير البصرة عليها عام ٩٣١ / ١٥٢٥ فإن ذلك لم يعن زوال نفوذهم السياسي تماماً من شرق الجزيرة العربية. وإذا كانت معلوماتنا عن نشاطهم في مناطق عمان وفيرة نسبياً وملفتة للنظر فإن هذه المعلومات عن نشاطهم في البحرين والقطيف والاحساء ضئيلة جداً، وهو أمر ربما يعزي إلى ندرة مصادرها التأريخية.

إن مما يجب لفت الانتباه إليه ابتداءً هو أن جميع زعماء الجبور الذين سوف نشير إلى نشاطهم ينحدرون من نسل هلال بن زامل بن حسين بن ناصر الجبري أخي السلطان أجود بن زامل حاكم بلاد البحرين ونجد في الرابع الأخير من القرن التاسع / الخامس عشر. أن هذا الفرع من أولاد زامل كانت قد انتقلت إليه رياسة أمارة الجبور في شرق الجزيرة العربية منذ أن تولى الأمارة منهم قطن بن علي بن هلال بن زامل في حدود عام ٩٣٠ / ١٥٢٤، لكنهم عجزوا عن الاحتفاظ بالإمارة طويلاً حيث انتزعها الشيخ راشد بن مغامس بن صقر عام ٩٣١ / ١٥٢٥ من آخر أمرائهم المدعو غصيب (قضيب) بن زامل بن هلال بن زامل، وتمتع الشيخ راشد بن مغامس هو واولاده بحكم القطيف والاحساء اضافة إلى البصرة حتى استيلاء العثمانيين على القطيف عام ٩٥٧ / ١٥٥٠ ثم على الاحساء عام ٩٥٩ / ١٥٥٢[٢].

---

(٢) بحثنا السابق، ٤٨-٤٩: كذلك راجع:

A.N. al-Humaidan,

The Social and Political History of the Provinces of Baghdad and Basrah From 1688 to 1749, Unpublished Thesis For Ph. D. University of Manchester (1975), 6, 10 — 15.

وراجع أيضاً: سيد لقمان، زبدة التواريخ، 72a

Turk ve Islam Eserleri Muzesi KTb. nu,1973,

(مخطوطة، تركية في متحف العصور التركية والاسلامية في اسطنبول، كذلك راجع: =

ومهما يكن من أمر فإننا نجد بأن أولاد هلال الذين تركزت بيدهم زعامة الجبور كانوا منقسمين في النصف الثاني من القرن العاشر / السادس عشر إلى كتلتين متباعدتين فالكتلة الأولى ومقر زعامتها الرئيسي في واحات الاحساء وتمد نفوذها على بعض قبائل عمان الشمالي في منطقتي الظفرة والظاهرة، وزعماء هذه الكتلة هم أولاد قطن بن علي بن هلال بن زامل بن حسين الجبري الثلاثة وهم علي وناصر وقطن، وكان أحد هؤلاء الثلاثة - والذي قد يكون على الارجح - قد سبق له أن تولى إمارة الجبور خلفاً لوالده قطن إلاّ أنه لم يستطع الاحتفاظ بالامارة إلاّ فترة قصيرة حيث تنازل عنها لابن عمه غصيب (قضيب) بن زامل بن هلال.

أما الكتلة الثانية من ذرية هلال فكان مقر زعامتهم ونفوذهم في عمان الداخل، وتنحصر زعامتها في أولاد جفير (جيفر) بن هلال بن زامل بن حسين الجبري.

لقد كان طبيعياً أن تتأثر كل زعامة من هاتين الزعامتين بالمحيط الذي تقيم فيه وترتبط به بروابط متشابكة، لذا نجد تبايناً في مواقفها من الأحداث. وعلى كل حال فإن أول نص نملكه عن نشاط الجبور في عمان بعد زوال امارتهم يعود تاريخه إلى **٩٦٥ / ١٥٥٧** حيث قام زعيمهم محمد بن جفير (جيفر) بن علي بن هلال بن زامل الجبري بالاستيلاء على بهلا مقر إمام الاباضية بركات بن محمد بن اسماعيل مستغلاً بذلك الصراع الذي كان يدور بين الأخير وبين زعيم الشبهانيين سلطان بن محسن بن سليمان. والظاهر أن الذي دعي زعيم الجبور محمد بن جفير (جيفر) إلى التحرك هو ما رأه من ضعف الإمام الاباضي وفساده وانصراف الناس عنه، في

C. Orhonlu, «1559 Bahreyn Seferine Aid Bir Rapor» **Tarih Dergisi**,xvii/22 (Istambul, 1967, 1 — 16, esp. 5-6 note 4.

(تقرير حول الحملة العثمانية على البحرين عام **١٥٥٩**). راجع أيضاً صالح أوزباران **الأتراك العثمانيون في الخليج العربي**، ترجمة د. عبدالجبار ناجي، بغداد **١٩٧٩**، **٣٣-٣٤** هامش ٤٦. ومما يجدر ذكره أن غصيب بن زامل قد ورد اسمه قضيب بن زامل في قصيدة عامر السمين الذي يمدحه فيها. راجع عبدالله الحاتم، **خيار ما يلتقط من الشعر النبط**، دمشق **١٣٧٢/١٩٥٢**، ١/٤٥.

الوقت الذي كانت تتصاعد فيه قوة الزعيم النبهاني بحيث تمكن من الاستيلاء على نزوى[٣].

حظي زعيم الجبور محمد بتأييد الاباضية واسنادهم له، حتى أنه تهيَّأ له جيش كبير، استطاع أن ينتزع به نزوى من النبهانيين. إلّا أن النبهانيين قويت شوكتهم عندما تولى زعامتهم سليمان بن مظفر بن سلطان فطمح بالاستيلاء على نزوى، ويبدو أن مما قوى نفـوذ سليمان بن مظفر النبهاني وعزز مركزه في عمان تحالفه مع زعماء الجبور في الاحساء وهم ناصر بن قطن بن علي بن هلال وأخوة قـطن بن قطن اللذان كان لهما نفوذ كبيرة في عمان الشمالي في منطقة الظاهرة وهم في نفس الوقت أبناء عم الشيخ محمد بن جفير (جيفر) بن علي الجبري الذي كان نفوذه يتركز في عمان الداخل تصدى الشيخ محمد بن جفير (جيفر) الجبري لمحاولة سليمان بن مظفر النبهاني الاستيلاء على نزوى فدارت رحى معركة طاحنة بين الطرفين في حدود ٩٨٥ / ١٥٧٧ أسفرت عن مقتل محمد بن جفير الجبري. ومما هو جدير بالذكر أن زعيمي الجبور ناصر بن قطن وقطن بن قطن قد وقفا على الحياد أثناء القتال بين جيش ابن عمهم محمد وجيش النبهاني، لكنهما تدخلا لايقاف القتال بعد مقتل ابن عمهما[٤].

إن مسارعة سليمان بن مظفر النبهاني للزواج بأرملة خصمه كانت فيما يبدو تهدف إلى كسب ذلك الفخذ من الجبور الذي كان يتزعمه القتيل. مهما يكن من أمر فإن استمرار ارتكاز سليمان النبهاني على الجبور واضح من قضائه فصل الشتاء من كل عام في البادية الشمالية حيث مراعي حلفائه الجبور في تلك الجهات ثم توجهه إلى بهلا في فصل الصيف حيث اعتاد الجبور التوغل صيفاً إلى هناك[٥] إن مما تجدر ملاحظته هنا أن مواقف اولاد قطن بن علي بن هلال الجبري كانت متفاوته من

(٣) سرحان بن سعيد الأزكوي، **تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة** تحقيق عبدالمجيد القيسي، دار الدراسات الخليجية في أبي ظبي، ١٩٧٦، ٧٦، حميد بن رزيق، **الفتح المبين المبرهن في سيرة السادة البوسعيدين**، المخطوط الباريسية وزقة ٩٦، نفس المؤلف **الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان**، القاهرة ١٩٧٨، ٨٨، عبدالله بن حميد السالمي، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، القاهرة ١٩٦١، ٣٨٦/١ - ٨٧.

(٤) كشف الغمة، ٨٣-٨٤، ابن رزيق، **الفتح المبين في سيرة البو سعيديين**، القاهرة ١٩٧٧، ٢٧٥، السالمي، المصدر السابق، ٣٨٨/١.

(٥) **كشف الغمه**، ٨٤: ابن رزيق، **الفتح المبين** (النسخة الخطية الباريسية رقم (Arabe 4853) ورقة ٩٥.

الأشخاص والأحداث. ففي الوقت الذي كنا قد عرفنا بأن كلاً من ناصر بن قطن وأخيه قطن بن قطن هم حلفاء لسليمان بن مظفر النبهاني، كان أخوهم الثالث علي الذي ربما كان أكبرهم سناً يقف حليفاً إلى جانب زعيم الاباضيين حاكم الرستاق مالك بن أبي العرب - جد ناصر بن مرشد - وقد نجح تحالفهما، الذي ضم السة قبائل هناءة اليمانية الأصل، في إنتزاع نزوى وعدد من القلاع من سليمان بن مظفر النبهاني[٦].

إن الاسئلة التي يمكن أن تتبادر إلى الذهن في منعطف هذه الأحداث هي - هل أن سليمان بن مظفر النبهاني كان مناهضاً للوجود البرتغالي في عمان؟ ثم هل أن موقف زعيمي الجبور ناصر بن قطن وقطن بن قطن باسناد سليمان مظفر النبهاني كان بإيحاء وتشجيع من السلطة العثمانية في الاحساء لانجاح حركة سليمان النبهاني في توحيد جبهة عمان الداخل لكي تكون بعد ذلك قادرة على الاندفاع نحو مواقع البرتغاليين على الساحل لاخراجهم منها أو على الأقل ازعاجهم ومشاغلتها؟ وهل أن العثمانيين كانوا قد أدركوا فعلاً أهمية نفوذ الجبور والدور الذي يمكن أن يلعبوه لصالحهم في عمان، وأنهم قد خططوا للاستفادة منهم في ضرب مواقع البرتغاليين على سواحل عمان؟ وإذا كان ذلك أمر غير وارد، فلماذا أغفل العثمانيون هذه الفرصة الجيدة؟ التي كان من الممكن أن ترجح كفة الصراع بينهم وبين البرتغاليين لصالحهم، في الوقت الذي كانت استراتجيتهم قائمة أساساً طوال القرن العاشر / السادس عشر تقريباً على تطهير البحار العربية من البرتغاليين، وكان الخليج العربي أحد الميادين الرئيسة الذي يرتكز عليها تنفيذ هذه الاستراتجية، وما الحملتان البحريتان اللتان قادهما كل من بيري ريس عام **٩٥٦ / ١٥٥٢** وسيدي علي ريس عام **٩٦١ / ١٥٥٤** الأمثال على ذلك[٧]. بل أن استيلاءهم على كل من البصرة والقطيف والاحساء كان من بين ما يهدف إليه اتخاذها مراكز للوثوب نحو قواعد البرتغاليين في الخليج العربي[٨].

---

(٦) **كشف الغمة، ٨٥-٨٨**: السالمي، **تحفة الأعيان، ٣٩١، ٣٩٣**.

(٧) من أجل الاطلاع على بحث موجز عن هاتين الحملتين، راجع صالح اوزباران، **الأتراك العثمانيون في الخليج العربي، ٤٣-٥٠**.

(٨) Orhonlu, Op. Cit, 1 — 16; al-Humaidan, Op. cit, 3, 10 — 11, 14 — 15. اوزباران، المصدر السابق، **٤٢-٥٠**.

مهما يكن من أمر فإن الاجابة على جميع هذه التساؤلات أو حتى بعضها بشكل دقيق أمر غير ممكن في الوقت الحاضر، إذ أن ما نشر حتى الأن لايسعفنا في الاجابة عنها ولا يمكن التوصل إلى صيغة مقنعة إلّا بعد مسح الوثائق العثمانية والبرتغالية المتعلقة بشؤون الخليج العربي خلال الفترة المشار إليها.

إن عمان قد شهدت خلال الربع الأول من القرن الحادي عشر / السابع عشر ظهور نزاعات قبلية مستمرة. وصراع بين زعماء النبهانيين أنفسهم، وكان لا بد للجبور أن يستغلوا هذه النزاعات لكسب مواقع لأنفسهم. ففي حدود عام ١٠٢٥ / ١٦١٦.

قام الشيخ محمد بن محمد بن جفير الجبري بالتحرك من مقره في بلدة السيب على خليج عمان وهو يعتزم الاستيلاء على ميناء صحار بالخديعة، فتظاهر لأمير المدينة محمد بن مهنا الهديفي بأنه قادم إليه لنجدته ضد خصمه عمير بن حمير الذي يؤزره البرتغاليون، لكن خطة الزعيم الجبري لم تنجح إلا لفترة قصيرة حيث أخرج بعدها من صحار بالقوة[٩] مهما يكن من أمر فإن الحديث عن اتجاهات الصراعات القبلية في عمان خلال الربع الأول من القرن العاشر / السابع عشر وموقف الجبور خلال تلك الصراعات أمر غير ممكن نظراً لقلة المصادر العمانية اضافة إلى عدم تنوعها، إذ هي تمثل مدرسة فكرية واحدة فكل منها يكرر ما يقوله الآخر تقريباً، كما أنه يجب أن لا يغيب عن بالنا أن الطبيعة القبلية الطاغية على المجتمع العماني وعلى أطراف النزاع تجعلها تبدل مواقعها بين حين وآخر ولا تلتزم بخط معين في ولاءاتها مدة طويلة. وعلى كل حال فإننا نلحظ أن جميع أفخاذ الجبور قد أخذت تعادي النبهانيين خلال هذه الفترة فعندما استغاث سكان حصين ينقل عام ١٠٢٧ / ١٦١٨ بزعيمي الجبور قطن بن قطن وناصر بن ناصر بن قطن على أثر هجوم نبهان بن فلاح النبهاني عليهم، قام زعيما الجبور بإرسال قواتهما بقيادة ناصر بن ناصر بن قطن وعلي بن قطن بن قطن ومحمد بن محمد بن جفير حيث استطاعت تدمير قوات نبهان بن فلاح النبهاني وتشتيتها، واصبح الجبور على أثر ذلك يسيطرون تماماً على منطقة الظاهرة في عمان الشمالي[١٠] لقد عددت المصادر العمانية المناطق

(٩) الفتح المبين، ٢٥١ - ٢٥٤.

S.B. Miles, **The countries and tribes of the Persian Gulf,** 2nd. 1966 (London), 183.

(١٠) **كشف الغمة**، ٩١ - ٩٤، **الفتح المبين** (النسخة الخطية) ورقة ٩٥، السالمي، ٤٠٠.

الخاضعة لسيطرة الجبور وذلك قبيل قيام دولة اليعاربة، فذكرت أن كل من سمد الشأن وابراً والغبي وبات وينقل وتؤام (واحات البريمي حالياً) ولوى ومقنبات والافلاح هي تحت حكم زعماء الجبور زعماء الجبور بكتلتيهما الرئيستين، وموزعة بين كل من علي بن قطن بن قطن الجبري وناصر بن ناصر بن قطن الجبري ومحمد بن محمد بن جفير الجبري وأخاه سيف بن محمد بن جفير الجبري(١١).

- ٢ -

نشاط الجبور في عهد اليعاربة.

إن انتشار الفوضى والإضطرابات في عمان وتحولها إلى دويلات مدن متناحرة وعجز عن بسط سلطتهم على البلاد خصوصاً بعد أن تلفوا ضربات قاسية على يد الجبور، يضاف إلى ذلك أن البرتغاليين الذين كانوا منذ ما يزيد على القرن يهيمنون على معظم سواحل عمان ومنافذها البحرية، قد أخذ يظهر ضعفهم وتزول هيبتهم في النفوس بعد أن أخذت معاقلهم في البحرين وهرموز تتهاوى أمام هجوم الصفويين وسفن شركة الهند الشرقية الانكليزية. أن كل هذه العوامل مجتمعة كانت هيأت الظروف في عمان لظهور زعيم قوم يحرر البلاد من الفوضى والاستعمار الأجنبي ويوحدها في سلطة مركزية واحدة، كما هيأت السكان للالتفاف حول مثل هذا الزعيم أن الشعوب عادة في مثل الظروف التي كانت تمر بها عمان في ذلك الحين تتطلع إلى زعيم قوي ينقذها من حالة الفوضى والتردي التي تعاني منه وتكون مستعدة لتسليم مقود زمامها إليه ليقودها إلى بر الأمان. ولقد تهيء لعمان فعلاً مثل هذا الزعيم وهو ناصر بن مرشد اليعربي الذي بايعته إماماً لقيادتها عام **١٠٣٤ / ١٦٢٤ - ٢٥**.

كان لا بد للامام ناصر بن مرشد وقد نهض بمسؤولية توحيد البلاد والقضاء على مصادر الاضطراب فيها من الاصطدام بالجبور، لذا فقد بدأ، بعد تثبيت نفوذه في الداخل بشن حرب طويلة وقاسية ضدهم.

تكن الحرب ضد معاقل الجبور من الأمور الهينة، نظراً لشدة بأسهم وكثرة اتباعهم من بدو وحضر بما فيهم الهناويون، على أن المصادر العمانية تظهر لنا بأن حصون

(١١) **كشف الغمة**، ٩٥- ٩٧، **الفتح المبين**، (النسخة الخطية) الورقة ٩٧: السالمي، ٢/٥-١١ عائشة السيار، **دولة اليعاربة**، بيروت ١٩٧٥، ٤٧ - ٤٨، جمال الدين زكريا، **دولة بو سعيد في عمان وشرق أفريقيا** (القاهرة، ١٩٦٨) ص ٣٦. Miles, Op. Cit, 203.

الجبور في مختلف المناطق قد أخذت تتساقط الواحدة بعد الأُخرى وأن قوات الإمام ناصر بن مرشد هي المنتصرة دائمًا. لكن تمحيص هذه النصوص العمانية يظهر لنا بأن الحرب كانت سجالاً وأن النصر كان يتأرجح بين الطرفين ويمكن القول أن إحراز النصر الراجح ضد الجبور لم يتأت إلاّ بعد فترة طويلة إن تكرار الحديث عن معارك دارت في نفس المواقع التي سبق أن قيل بإنها قد انتزعت من الجبور، ثم الفترة الطويلة التي استغرقها احراز النصر عليهم دليل على ما ذهبنا إليه.

ومهما يكن الأمر فإن جبهة الجبور قد بدأت تضعف لأنها منذ البداية لم تقف جبهة واحدة ضد الإمام ناصر بن مرشد. ومما زادها ضعفاً مقتل الشيخ محمد بن محمد بن جفير الجبري ووقوف قوات ناصر بن ناصر بن قطن الجبري.

إلى جانب قوات الإمام ناصر بن مرشد ضد الشيخ سيف بن محمد بن جفير الجبري الذي خلف أخاه في الزعامة. لقد أدى الأمر بأخوة الشيخ الجبري القتيل واولاده وكبار أعوانه إلى اللجوء إلى البرتغاليين في صحار، باستثناء سيف بن محمد الجبري الذي كان متحصناً في حصن لوى مع عدد كبير من أتباعه إن وصول الامدادات من صعار إلى الشيخ سيف بن محمد بن جفير الجبري لم تمكنه من مقاومة قوات الإمام ناصر بن مرشد وناصر بن قطن الجبري أكثر من ستة أشهر، فكانت النتيجة منع معاقلة(١٢).

إن نجاح الامام ناصر بن مرشد في اخضاع كتلة الجبور التي تنحصر مشيختها في أولاد جفير بن علي بن هلال الجبري قد جعله فيما يبدو ويعيد النظر في علاقاته مع كتلة الجبور التي تستند إلى قاعدتها في الاحساء وتنحصر مشيختها في أولاد قطن بن علي بن هلال الجبري. ومن المحتمل أنه قد أراد أن يعاملها على أنها تابعة له وليست بحليف الندللند، وهذا قد يكون أحد أسباب مخاصمة زعيم هذه الكتلة ناصر بن ناصر بن قطن الجبري للإمام ناصر بن مرشد، بعد أن كان قد حالفه فترة قصيرة. مهما يكن من أمر فإن الصراع الذي خاضه الإمام ناصر بن مرشد ضد الشيخ ناصر بن ناصر بن قطن الجبري كان طويلاً وقاسياً. فالشيخ ناصر الجبري كان له نفوذ واسع في منطقتي الظاهرة والظفرة وكانت تسانده قبائل كثيرة، من بينها

(١٢) كشف الغمة، ٩٧- ١٠١، الفتح المبين (النسخة الخطية) ورقة ٩٩- ١٠١، السالمي، ١٢/٢، د. سليمان محمد الغنام، الوجود البرتغالي في عمان في المصادر العمانية، **مجلة العرب**، (الرياض) ١٣٩٧/١٩٧٧، ج ١١ - ١٢، ٨١٧ - ٨٣٨ خصوصاً ٨٢٩ - ٣٠.

بنوياس، ومن قاعدته في الاحساء التي أنت في مأمن من وصول قوات الامام ناصر بن مرشد إليها، كان يشن هجماته على عمان الداخل في كل سنة ويحمل ما يستطيع حمله من أموال وإبل ومواشي، ويقتل من يتصدى له، وأن يحاول في كل هجماته استرجاع ما فقده من حصون في منطقة الظاهرة، لكنه لم ينجح في ذلك إلاّ في فترات قصيرة فقط(١٣).

لقد حاول الامام ناصر بن مرشد أن يضعف من هجمات زعيم الجبور ناصر بن ناصر بن قطن وذلك بهدم حصون الجوف (الجو) في واحات تؤام من الظاهرة، التي كان يتحصن فيها، إلاّ أن ذلك لم يجد نفعاً، لان زعيم الجبور لجأ إلى محاولة الاستفادة من البرتغاليين في صحار، فذهب إليهم عندما ضايقته قوات إمام الاباضية ناصر بن مرشد. كما أنه أخذ يهاجم منطقة الباطنة ويعاقب القبائل التي تساند الامام ناصر هنا كبعض أفخاذ بني خالد وبني لام(١٤).

ويبدو أن زعيم بني خالد في الاحساء محمد بن عثمان المعروف بابن حميد، قد أخذ هو الآخر يساهم في الهجمات التي كان يشنها الجبور من الاحساء على منطقة الظاهرة إلاّ أنه وقع أسيراً في إحدى هجماته بأيدي قوات الامام ناصر بن مرشد ونقل إلى الرستاق حيث مات في سجنها(١٥). لقد لجأ الامام ناصر إلى أتباع خطط متغيرة من أجل منع هجمات ناصر بن ناصر بن قطن الجبري، فبالاضافة إلى الخطط التي استعملها من قبل، لجأ أخيراً إلى اعداد قوة كبيرة تكون على استعداد دائم لمواجهة أي هجوم مباغت يقوم به الجبور غير أن هذه الخطة كما يبدو لم تكن فعالة بالرغم من أن عدداً من المعارك الحامية قد جرت بين الطرفين وسقط فيها عدد كبير من القتلى، لذا فقد لجأ بعدها إلى مباغتتهم خلال فصل رعي إبلهم ومواشيهم في منطقتي الظفرة والظاهرة مستعيناً بقوات من الجبور أنفسهم بزعامة عمير بن محمد بن جفير وأخيه على بن محمد. لكن هذه الخطة لم تحقق نجاحاً يذكر أنها استفزت ناصر بن ناصر بن قطن أكثر حيث أخذ يشن هجمات متكررة وقاسية ضد قوات الامام ناصر بن مرشد في منطقة الظاهرة وعلى من يخضع

(١٣) كشف الغمة، ١٠٢ - ١٠٣، الفتح المبين (النسخة المطبوعة) ٢٧٢ - ٧٦، الشعاع الشائع، ٢٠٠ - ٢٢١، السالمي ٢/١٢.

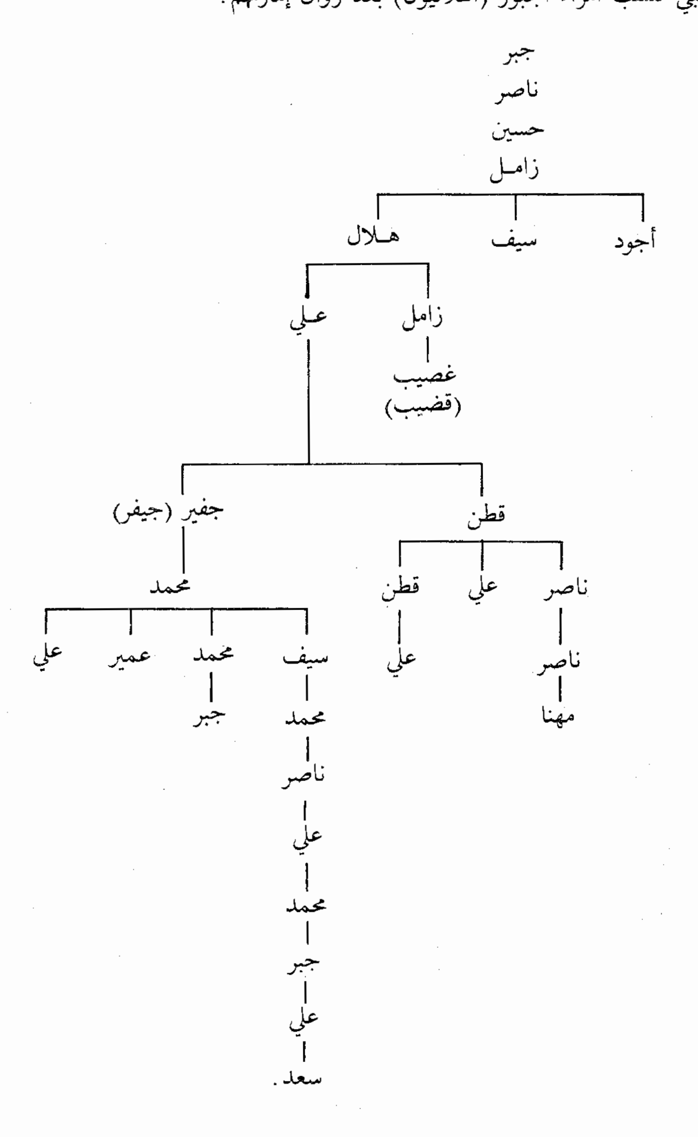
(١٤) كشف الغمة، ١٠٣-١٠٤، الفتح المبين، ٢٧٦-٧٧، الشعاع الشائع، ٢٢١-٢٣.

(١٥) كشف الغمة، ١٠٤، الفتح المبين ٢٧٧-٧٨، الشعاع الشائع، ٢٢٣-٢٤.

لتبعيته من السكان حتى أخاف بغزواته البدو والحضر والتجأت البادية من شره إلى البلدان[١٦].

(١٦) **كشف الغمة، ١١٣ - ١٠٤، الفتح المبين، ٢٧٧ - ٢٧٩، الشعاع المشائع، ٢٢٣ - ٢٢٥، السالمي، ٢/١٣ - ١٥.** Miles, 203-4.

مخطط تقريبي لنسب أمراء الجبور (الهلاليون) بعد زوال إمارتهم.



ويبدو لنا بأن أمير الجبور كان مصممًا على ارغام الزعيم اليعربي على استرضائه بالمال نقداً أو عيناً مثلما كان يفعل من سبقه من حكام وأمراء عمان، إذ اعتادوا منذ ما يزيد على القرن ونصف القرن مثل هذه الاحداث على أن يدفعوا للجبور سنوياً جزء معيناً من المال كرسم حماية مقابل عدم تعرضهم للمزروعات في عمان. لقد كان ناصر بن مرشد يرفض الاقرار لهم بهذا الحق بل ويطمح لاخضاعهم كلياً لنفوذه وأمير الجبور ناصر بن ناصر بن قطن يقاومه كل المقاومة ويشعره في كل مرة بسطوة الجبور وقوة شوكتهم حتى أرغمه أخيراً ولفترة، على أن يسترضي الجبور بالمال[١٧]. ومهما يكن من أمر فإن توقف هجمات زعيم الجبور ناصر بن ناصر بن قطن على عمان، ثم النهاية التي انتهى إليها، هما مسألتان يكتنفهما الغموض. ففي الوقت الذي يذكر فيه صاحب كشف الغمة بأن زعيم الجبور هذا كان قد انسحب إلى الاحساء بعد أن أحرز انتصاراً كبيراً على قوات الامام ناصر بن مرشد في آخر هجوم شنه على عمان لم يسمع به بعدها، فإن ابن رزيق من الجهة الأخرى يذكر بأن جيش الامام ناصر كان هو المنتصر وأنه قد أفنى قوات الجبور في آخر هجوم شنوه على عمان. وأما عن مصير زعيمهم ناصر بن ناصر بن قطن، فأن ابن رزيق قد سكت عنه في الفتح المبين لكنه ذكر في الشعاع الشائع بأنه قد قتل مع بقية اتباعه في المعركة، وأنه بمقتل ناصر بن ناصر بن قطن الجبري عم الأمان والسرور عمان[١٨].

إن مما لا شك فيه أن انحسار نشاط الجبور قد جعل ناصر بن مرشد اليعربي يتنفس الصعداء لزوال التهديد المستمر لنفوذه والمنبعث من ناصر بن ناصر بن قطن الجبري أخطر خصومه واصلبهم عوداً وأكثرهم نشاطاً وكان بديهياً الآن أن يلقي ناصر بن مرشد بكل ثقله في مواجهة البرتغاليين، حتى نجح أخيراً في انتزاع معظم مواقعهم على الساحل العماني بأستثناء مسقط ومطرح[١٩] والتي ترك أمر تحريرها بعد وفاته عام ١٥٠٩/ ١٦٠٩ إلى ابن عمه سلطان بن سيف، الذي خلفه في قيادة عمان.

---

(١٧) Miles, Op. Cit, 204.

(١٨) كشغ الغمة، ١٠٥، الفتح المبين، ٢٧٩، الشعاع الشائع، ٢٢٥ - ٢٦، Miles, 204.

(١٩) كشف الغمة، ١٠٥، الفتح المبين، ٢٧٩، الشعاع، ٢٢٦: Miles, 210.

مهما يكن من أمر فإن وفاة أمير الجبور ناصر بن ناصر بن قطن الجبري، قد وضعت حداً فيما يبدو للجهات التي كانت تتعرض لها عمان من ذلك الفخذ من الجبور الذي اتخذت زعامة من الاحساء مقراً لها. إن الحديث عن نشاط هذا الفخذ لم يختف من عمان فحسب بل اختفى فيما يبدو من جميع شرق الجزيرة العربية أيضاً بأستثناء ثلاث روايات ورد ذكرهم فيها. فقد ذكر ابن بشر بأن زعيم الجبور المدعو مهنا الجبري قد اشترك مع زعيم بني خالد براك بن غرير بن عثمان في انتزاع الحسا والقطيف من العثمانيين عام ١٠٨٠/ ١٦٦٩ بعد أن طردوا آخر ولاتها عمر باشا[٢٠].

إن نص ابن بشر أعلاه يحتاج إلى تصحيح وتوضيح نظراً لتكرار تداوله من قبل البعض دون تمحيص. كانت ولاية الاحساء منذ نهاية الربع الأول من القرن الحادي عشر/ السابع عشر قد استقلت تقريباً عن الدولة العثمانية في عهد واليها علي باشا ولم يبق لها الارتباط أسمى بالدولة العثمانية، ومثل ذلك كانت ولاية البصرة في عهد واليها أفراسياب باشا الديري لقد قام حاكم البصرة حسين باشا حفيد أفراسياب باشا في حدود عام ١٠٧٥/ ١٦٦٤-٦٥ بالاستيلاء على ولاية الاحساء والقطيف وطرد حاكمها محمد باشا حفيد علي باشا ونصب أحد أعوانه كان آخرهم عمر الحليبي، وهكذا أصبحت هذه الولاية من ممتلكات حاكم البصرة لكن الدولة العثمانية التي كانت منذ مدة طويلة تترقب الفرصة لاعادة سيطرتها المباشرة على البصرة، قد رأت أن الظروف العامة قد أصبحت مهيأة في هذه الفترة لأنهاء انفصال البصرة، وقد نجحت في ذلك عام ١٠٨٠/ ١٦٦٩ استغلاً زعيما الجبور وبني خالد حراجه مركز حسين باشا الديري محاصراً القطيف فاضطر حسين باشا إلى سحب حاكمها منها وهو عمر باشا الحليبي والذي قام بدورة بتسليم القطيف إلى زعيم بني خالد براك بن غرير. أما الاحساء فإن حسين باشا كان قد سلمها إلى عيسىٰ بن علي وهو ابن أخ محمد باشا حاكمها السابق لكن أمير بني خالد طرده منها[٢١].

---

(٢٠) **عنوان المجد في تاريخ نجد**، (مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، بدون تاريخ)، ج ١/٦٥ وكذلك راجع، ابراهيم بن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد**، تحقيق حمد الجاسر/الرياض ١٣٨٦/١٩٦٦، ص ٦٣.

(٢١) راجع عباس العزاوي، **تاريخ العراق بين احتلالين**، بغداد، ١٩٥٣ ٥/٧٤ - ٧٧، ٨٧.

يتضح لنا مما أوردنا أعلاه بأن زعيمي الجبور وبني خالد لم ينتزعا الاحساء مباشرة من الترك العثمانيين وأن عمر باشا لم يكن والياً «تركياً» وإنما كان من امراء حاكم البصرة المستقل حسين باشا بن علي باشا الديري الذي ضم الاحساء لسلطته. ما معنى هذا هل حسين باشا عربي؟ إن الاشارة الثانية التي ورد فيها ذكر الجبور، هي الرواية التي انفرد بذكرها النبهاني والتي جاء فيها، أن أحد شيوخ الجبور كان قد استقل في حكم جزيرة البحرين بعد عام ١١١٠ بقليل - بعد عام ١٦٩٩ بقليل - وإنه استمر في حكم الجزيرة حتى انتزاعها منه الشاه عباس الثاني والصفوي، وذلك حينما أرسل ضده حملة بقيادة معين الدين الغالي وباشراف والي فارس الله وردي خان حيث قتل الشيخ الجبري خلال ذلك[٢٢] أن ما أورده النبهاني من معلومات تتعلق بحكم الشيخ الجبري في جزيرة البحرين تفتقر إلى المصادر التي تعززها أو تنفيها. وكل ما نعرفه هو أن الشاه عباس الأول (الكبير) كان قد كلف نفس القادة الذين ذكرهم النبهاني أعلاه باحتلال البحرين وأنهم قد قاموا بما كلفوا به عام ١٠١٠/ ١٦٠١[٢٣] أن هذا الامر يحملنا على القول بأن من المحتمل أن يكون هناك خطاء فيما أورده النبهاني حول حكم الشيخ الجبري في البحرين. أن الاشارة الثالثة والأخيرة المتعلقة بالجبور هي أنه حين أشير إلى مقتل الشيخ ثويني بن عبدالله شيخ المنتفق خلال حملته ضد السعوديين سنة ١٢١٨/ ١٧٩٦. إذ قيل بأن قاتله هو من عبيد جبور بني خالد [٣٤].

مهما يكن من أمر فإن النص المذكور قد يفيدنا في القول بأن اسم الجبور في مناطق الاحساء. القطيف قد اختفى تحت اسم بني خالد الذين أصبحت لهم الزعامة القبلية الأولى في هذه المنطقة منذ النصف الثاني من القرن الحادي عشر/ السابع عشر.

فقد وصف الشاعر الاحسائي أحمد بن المشرف التركيب القبلي لبني خالد فقال:

(٢٢) **التحفة النهائية في تاريخ الجزيرة العربية**، القاهرة، ١٣٤٢، ط ١٠٩ - ١١٢.

(٢٣) عباس إقبال، **مطالعتي درباب بحرين وجزاير وسواحل خليج فارس**، طهران، ١٣٢٨/١٩٤٩. ٧٧ ف اسكندر بك تركمان، **تأريخ عالم آراي عباسي**. تهران ١٣٥٠ جلد دوم ٦١٤ - ٦١.

(٢٤) محمد رسول حاوي كركوكلي، **روحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء** بيروت، ١٩٦٣، ٢٠٤ - ٢٠٥: ابن بشر، **عنوان المجد**، ١٠٨/١.

ولا تنس جمع الخالدي فانهم   قبائل شتى من عقيل بن عامر[٢٥]

نخلص إلى القول بأن حديثنا سوف يقتصر بعدما ذكرناه على تتبع نشاط ذلك الفخذ من الجبور الذي تنحصر زعامته في ذرية جفير بن علي بن هلال بن الجبري الذي استقر في عمان الداخل وأخذ يشكل جزءاً من مجتمعها القبلي وعرفوا في بعض الأحيان باسم الهلاليين.

نشاط الجبور في عهد البوسعيديين:

لقد شهدت عمان خلال العهد الأخير من حكم اليعاربه **١٠٣٥/١٦٢٤ - ١١٥٦/١٧٤٣** صراعاً قبلياً حاداً اتخذ شكل حروب أهلية. إذ انتظمت القبائل المنحدرة من أصل يماني في جبهة واحدة تقريباً اطلق عليها الهناوية، نسبة إلى قبيلة بني هناء، في حين أن القبائل المنحدرة من أصل نزاري اتحدت في جبهة عرفت بالغافرية نسبة إلى قبيلة بني غافر، وكان الجبور أقوى القبائل الغافرية[٢٦].

إن العامل المذهبي فيما يبدو كان قد لعب دوراً ضمن بقية العوامل في هذا الانشطار القبلي في المجتمع العماني، إذا أن معظم القبائل الهناوية تقريباً كانت على المذهب الأباضي في حين أن معظم القبائل الغارية تقريباً سنية المذهب إن مما زاد في تردي أوضاع عمان أيضاً. هو تعرضها الغزوات خارجية فيما بين عام **١١٤٩/١٧٣٧** وعام **١١٥٧/١٧٤٤** حيث استغل حاكم ايران الجديد نادر شاه الأفشاري اضطراب أوضاع عمان واستنجاد سيف بن سلطان، أحد أطراف النزاع في عمان به، لكي يقوم بتحقيق حلمه في السيطرة على الخليج العربي وذلك باحتلال

---

(٢٥) حمد الجاسر، تاريخ الكويت، **مجلة العرب** (الرياض) ج ١١ السنة الثانية، ١٣٨٨/١٩٦٨، ١٠٠٧ - ١٠٥٢ خصوصاً ص ١٠٣٣.

(٢٦) حول فترة الفوضى والفتن هذه راجع، **كشف الغمة**، ١١١ - ١٣٣، **الفتح المبين**، ٣٠١ - ٣٢٧، السالمي، ٢/١٢٥ - ١٣٣، صالح محمد العابد، دور القواسم في الخليج العربي، بغداد، ١٩٧٦، ٤٣ - ٤٥،

J.B. Kelly, **Britain and the Persian Gulf,** 1759-1880 London, 1968, P.4; Miles, Op.cit, 238-52.

عمان[٢٧] لم تعدم عمان زعيماً ينتشلها من حالة التمزق الداخلي ويواجه خطر الغزو الايراني الافشاري، وإذا كان الامام ناصر بن مرشد اليعربي قد برز في عمان في ظروف شبيه بهذه الظروف، فإن سعيد بن أحمد البوسعيدي حاكم صحار كان هو الزعيم الذي ارتضته عمان قائد يتصدى لحالة التمزق الداخلي الذي تعيشه وليواجه الغزو الخارجي، فبايعته البلاد بالامامة عام **١١٥٦/١٧٤٣** فكان بذلك مؤسس سلالة البوسعيديين في عمان[٣٨]، ومنتشل عمان من الفوضى الداخلية والسيطرة الأجنبية. إن نشاط ودور الجبور في عهد البوسعيديين متميز وواضح بعكس الحال في عهد اليعاربة، فقد وثق زعماء الجبور علاقتهم بأحمد بن سعيد منذ بداية حياته السياسية حينما ولاه الامام اليعربي سيف بن سلطان حكم مدينة صحار وما يتبعها.

إن ابن رزيق قد أشار إلى وجود هذه الصلة المبكرة بينهما حينما قال بأنه عندما تولى أحمد بن سعيد بن صحار (قصدته شيوخ الجبور.. . فرفع منزلتهم وأحسن إليهم[٢٩]) وقد أخلص الجبور لأحمد هذا، حتى أنه عندما غضب عليه الامام اليعربي سيف بن سلطان وأبحر إلى صحار وهو يعتزم الانتقام من أحمد بن سعيد

---

(٢٧) حول الحملات الايرانية وظروف الصراع في عمان خلال ذلك راجع، **كشف الغمة**، ١٣٥ - ١٤٦، **الفتح المبين**، ٣٢٨ - ٣٤٦، عبدالأمير محمد أمين، **القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر**، بغداد ١٩٦٦، ١٢ - ٢١، صالح العابد، المصدر السابق، ٤٥ - ٤٩:

L. Lockhart, The Navy of Nadir Shah. **Proceedingx of the Iran Society,** London, 1939, Part, 1, 3-18, idem, Nadir Shah's Campaigns in Oman, 1737-44, **Bulletin of SOAS,** Vol.8, (1935-7). 157-71; Miles, 252-64.

(٢٨) راجع **كشف الغمة**، ١٣٨ - ١٤٩، **الفتح المبين**، ٣٢٩ - ٣٥١، **الشعاع**، ٣٤٥:

Lockhart, Nadir Shah's Campaigns; Kelly, Op. Cit,

وحول البوسعيد راجع، جمال زكريا، دولة **بوسعيد في عمان**، وشرق الجزيرة العربية، ;Miles, 265-354.

B. Thomas, Arab rule under the AL Bu Sa'id, **Proceeding of the British Academy,** Vol. 24 (1938), 27-53.

(٢٩) **الفتح المبين**، ٣٣٠.

حاكمها، ركب شيوخ الجبور سفنهم لايقاف تطور الأزمة بين الاثنين، حتى نجحوا في اصلاح ذات البين بينهما بعد أن تكفلوا أحمد بن سعيد[٣٠].

لقد توثقت العلاقة بين حاكم صحار أحمد بن سعيد وبين الجبور بزواجه من ابنة زعيمهم الشيخ جبر بن محمد الجبري[٣١].

إن بروز شخصية أحمد بن سعيد خلال ولايته لصحار ربما يعزي بعض أسبابه إلى التفاف حلفاء أقوياء حوله أخلصوا له وهم الجبور، الذين بقوا أيضاً على صلة وثيقة به بعد توليه الامام. على أن تعدد أولاد الامام أحمد بن سعيد من عدة نساء كان سبباً في ظهور نزاع بين الامام وبعض أولاده، خصوصاً مع ولديه سلطان وسيف الذين كان الجبور أخوالهما فقد كان كل من سلطان وسيف يخشيان أن يتولى الامامة بعد أبيهما أخوهم الأكبر سعيد، لذا فقد لجأ عام ١١٩٤/١٧٨٠ إلى التمرد ضد والدهما واستوليا على حصون مسقط، ويساندهما بقوة خالهما الشيخ جبر بن محمد الجبري الذي ربما كان له دور رئيسي في دفع سلطان وسيف إلى التمرد.

وعندما قام الامام أحمد بن سعيد بتشديد الحصار على المتمردين في حصوره مسقط، شارع شيخ الجبور جبر بن محمد الجبري بمغادرتها إلى جلفار (رأس الخيمة) واستنجد هناك بشيخ القواسم صقر بن رحمة الهولي. تمكن شيخا الجبور والقواسم من إعداد جيش بلغ عدده بـ ٣٠ ألف مقاتل زحفوا به نحو الرستاق عاصمة الامام أحمد حيث فرضوا الحصار عليها عام ١٧٨١، الأمر الذي أثار فزع الامام أحمد بن سعيد فلم يكن أمامه غير رفع الحصار عن حصون مسقط والتصالح مع ولديه سلطان وسيف لكي يتفرغ لصد المهاجمين لعاصمته. لكن شيخ الجبور عندما علم بأن أحمد بن سعيد قد رفع الحصار عن ولديه وتصالح معهما أدرك بأن خطته الرئيسية قد نجحت فرفع الحصار عن الرستاق تحاشياً من الصدام مع الامام أحمد، وقد تابعه في ذلك الشيخ ابن رحمه الهولي الذي انسحب إلى مواقعه في الشمال[٣٢].

مهما يكن من أمر فإن توليه سعيد بن أحمد بن سعيد للامامة قد تميز بابتعاد

(٣٠) المصدر السابق، ٣٣٠ - ٣٤.

(٣١) المصدر السابق، ٣٣٣ - ٣٤.

(٣٢) **كشف الغمة**، ١٥٣ - ١٥٤، **الفتح المبين**، ٣٧٦ - ٧٩، كذلك راجع صالح العابد، المصدر السابق، ٩٦ - ٩٨، Kelly, Op. Cit, 12.

عرب الشمال النزاريين عنه الذي كان للجبور نفوذ كبير عليهم، علني بالرغم من ذلك فلم تظهر مجابهة تذكر خلال حكمه بينه وبين اخوته سلطان وسيف. إلا أنه بمجيء حمد بن سعيد بن أحمد إلى السلطنه في عمان، خلفاً لوالده الذي تنازل عن السلطة السياسية له، قامت محاولة لاقامة علاقة حسنة بينه وبين زعماء الجبور(٣٣).

إن هذه العلاقة الحسنة لم تستمر طويلاً إذ أن الجبور وقفوا بقوة إلى جانب قريبهم سلطان بن أحمد الذي ثار ضد ابن أخيه السلطان حمد بن سعيد، وبالرغم من أن الثائرين قد حققوا انتصارات هامة في هجومهم على مطرح إلا أنهم انسحبوا أخيراً وتراجع سلطان بن أحمد إلى الشمال(٣٤). على أثر وفاة حمد بن سعيد بن أحمد عام ١٧٩٢/١٢٠٦ قام عمه سلطان بن أحمد بالاستيلاء على السلطة في عمان مستعيناً بأخواله الجبور ومؤازرتهم وظلوا مقربين إليه كثيراً طوال فترة حكمه وكان شيخهم محمد بن ناصر الجبري موضع ثقته التامة، حتى إن سلطان بن أحمد عندما اعتزم القيام برحلته البحرية إلى البصرة عام ١٨٠٤/١٢١٩ والتي انتهت بمقتله، جعل الشيخ محمد بن ناصر الجبري وصياً على ولديه سليم وسعيد، كما أصبح الشيخ الجبري في نفس السنة والياً على مسقط(٣٥).

على أثر مقتل سلطان بن أحمد البو سعيدي خلفه في السلطنة ابنه سعيد الذي كان يشعر بأنه بأمس الحاجة إلى الجبور لاسناده أمام الأخطار المحدقة بملكه خصوصاً بعد تغلغل قوات السعوديين في عمان الشمالي بقيادة سليم بن بلال الحري - الحريق في المصادر العمانية - عام ١٨٠٣/١٢١٨ والذي قيل بأن نفوذهم قد وصل أرض بني عامر، ربما كان يقصد بها واحات توأم (البريمي)(٣٦).

مهما يكن من أمر فإن السلطان سعيد بن سلطان أصبح يعتمد كلياً في تسيير

(٣٣) الفتح المبين، ٤٠١.
(٣٤) المصدر السابق، ٤٠٦ - ٤٠٨.
(٣٥) الفتح المبين، ٤١٧، ٤٢٣، ٤٤٠، Miles, 284-86, 304.
(٣٦) الفتح المبين ٤٣١ - ٣٨، عبد الفتاح أبو عليه، دراسة تاريخية حول مخطوط عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان، **مجلة كلية العلوم الاجتماعية**، جامعة الامام محمد (الرياض) العدد الثاني ١٣٩٨/١٩٧٨، ٩٩ - ٩٧، وعبدالرحيم عبدالرحمن، الدولة السعودية الأولى القاهرة، ١٩٦٩، ٩٣ - ٩٧، صالح العابد، ١٣٤ - ٣٦: Miles, 298-99.

امور دولته على أمير الجبور الشيخ محمد بن ناصر الجبري حتى قال ابن رزيق بأن سعيداً قد أشرك شيخ الجبور هذا «في الحل والعقد»[٣٧].

إن الدارس لفترة حكم سعيد بن سلطان سوف لن يخطأ بالقول بأنه لولا الدعم الكبير والمؤازرة الفعالة التي قدمها الجبور برئاسة زعيمهم محمد بن ناصر الجبري لما استطاع سعيد بن سلطان الصمود طويلاً أمام الأخطار الداخلية والخارجية التي تعرض لها ملكه، على أنه يمكن أن نضيف أيضاً القول بأن زعيم قد استفاد هو الآخر في تقوية نفوذه. لقد كان من بين الأخطار الكبيرة التي تعرض لها سعيد هو تمرد عمه، حاكم صحار، قيس بن أحمد وطموحه في انتزاع السلطة، وكان قيس يشعر في نفس الوقت بأن خططه لن تحقق ما دام الشيخ محمد ناصر الجبري يقف إلى جانب السلطان سعيد بن سلطان، ولكي يتم الاستيلاء على مسقط لا بد من منع الجبور من نجدتها. وكانت مواطن الجبور ومعاقلهم في سمائل حيث كانوا يستطيعون الوصول إلى مسقط بسرعة نسبياً عبر وادي سمائل، لذا فإن قيس بن أحمد في الوقت الذي بدأ هجومه على مسقط عمل على تدمير قوة الشيخ محمد بن ناصر الجبري في سمائل ليضمن نجاح خطته في الاستيلاء على مسقط، إلا أن هذه الخطة قد باءت بالفشل بل أنها استفزت الجبور كثيراً وكانت وبالاً على قيس. فقد قام الشيخ محمد بن ناصر الجبري بالعمل على حشد قوات كبيرة من القبائل النزارية في منطقة الظاهرة وتوأم حتى بلغت قوته اثني عشر ألف مقاتل - وهو رقم المبالغة محتملة فيه -، فتوجه بهم مسرعاً نحو قوات قيس بن أحمد الذي كان لا يزال هجومه مستمراً على حصون مسقط وحقق نجاحاً ملحوظاً في ذلك، لكن وصول قوات الشيخ محمد بن ناصر الجبري غيرّ ميزان القوى لصالح السلطان سعيد بن سلطان وحاقت الهزيمة بقيس وقواته[٣٨].

ولقد كان من نتائج هذه المعارك بروز قوة نفوذ الشيخ محمد بن ناصر الجبري وكثرة اتباعه وقدرته على تغيير سير الأحداث في عمان، حتى قيل لسعيد بن

---

(٣٧) الفتح المبين، ٤٦٢.

(٣٨) الفتح المبين، ٤٦٢ - ٤٧٩، السالمي، ٢/١٩٣، Kelly, Op.Cit, 109 قارن ذلك مع Miles, 304-305.

سلطان، على سبيل الاشارة إلى كثرة اتباع حليفه الشيخ محمد الجبري، «من يكن هؤلاء اتباعه لن يحتاج إلى قوم آخرين»[٣٩].

إن الخطر الشديد الثاني الذي تعرض إليه ملك سعيد بن سلطان ووقف فيه الجبور الى جانبه، هو خطر ابن عمه بدر بن سيف بن أحمد البوسعيدي خصوصاً بعد تحالفه مع السعوديين على أثر زيارته للدرعيه وتقبله الالتزام بأراء حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية. وقد التف كافة أنصار ومؤيدي السعوديين في عمان حول بدر بن سيف فأصبح بذلك قوة يخشى خطرها تماماً على ملك سعيد بن سلطان[٤٠]. تجاه الخطر الذي أخذ يتهدد سعيد بن سلطان من بدر بن سيف وعجزه عن تدميره في المناوشات التي حدثت بين الطرفين أو انتزاع ما بيده من مدن وقلاع، لجأ سعيد إلى تدبير أمر اغتياله بالاستعانة بزعيم الجبور الشيخ محمد بن ناصر الجبري، فتم له ما أراد عام ١٨٠٧، وانتهى بذلك واحداً من أخطر خصومه.[٤١]

- ٤ -

التعاون بين الجبور والسعوديين

لقد وجد السعوديين أنفسهم مضطرين إلى أن يفعلوا مثلما فعل قبلهم أصحاب القوة والنفوذ، وذلك بمد نفوذهم إلى عمان الشمالي بعد نجاحهم في أحكام نفوذهم على واحات القطيف والاحساء. والواقع أن السعوديين منذ أن نجحوا عام ١٧٩٩/١٢١٤ في عقد معاهدة مع القواسم واعتراف بني نعيم وبني ياس في نفس السنة بتبعيتهم لهم[٤٢]، أصبح لهم نفوذ واسع ودور لا يمكن تجاهله في صنع الأحداث في عمان. وقد اتخذ السعوديين من واحات البريمي قاعدة رئيسية لنشاطهم في عمان، نظراً لما تتمتع به هذه الواحات من موقع استراتيجي ممتاز يسهل الانطلاق منها نحو كل من صحار وخور فكان وعمان الداخل وأبو ظبي.

---

(٣٩) الفتح المبين، ٤٧٩.

(٤٠) حول نفوذ بدر ونشاطه راجع، **الفتح المبين**، ٤٦٦ - ٤٩١، .Miles, 304-8.

(٤١) **الفتح المبين**، ٤٨٨ - ٤٩١، .Miles, 308-9.

(٤٢) **الدولة السعودية الأولى**، ٩٣ - ٩٦، صالح العابد، ١٣٤ - ٣٦، عبدالفتاح أبو علية، المصدر السابق، ١٠٦ - ١٧٠، **الفتح المبين**، ٤٣١ - ٣٢.

لقد كان من مظاهر اتساع نفوذ السعوديين في عمان موالاة وتبعية عدد كبير من القبائل والزعماء لهم، وكان من بين هذه الزعامات الهامة بدر بن سيف البوسعيدي، لذا فإن قيام السلطان سعيد بن سلطان البوسعيدي بقتله أثار سخط واستياء السعوديين كثيراً، لأن اغتياله كان يمثل تحدياً لهم. ولقد كان السلطان سعيد فيما يبدو قد وضع في حسبانه منذ البداية احتمالات استفزاز السعوديين بعمله هذا لذا فقد ألصق تهمة القتل بشيخ الجبور محمد بن ناصر الجبري(٤٣).

والذي يبدو لنا أن خطة سعيد بن سلطان كانت تقضي منذ البداية التخلص من الزعيمين الجبري وبدر البوسعيدي بحجر واحد، بعد أن تعاظم نفوذهما في عمان كثيراً. إن اختيار السلطان سعيد لقلعة الشيخ الجبري نفسه لاستدراج بدر إليها ومن ثم قتله فيها بحضور بضعة أفراد من حرسه الخاص فقط اضافة إلى الشيخ الجبري لكي يتهم بالاشتراك بشكل رئيسي بعملية القتل، إن لم يكن اتهامه بالقيام بهذا العمل شخصياً.

صحيح أن الشيخ الجبري سهل نجاح خطة قتل بدر لكن الخطة أساساً كانت من تدبير السلطان سعيد وتنفيذه إن سعيداً فيما يبدو كان يريد أن يتحاشى بذلك غضب السعوديين وسخط اتباعهم من القبائل النزرية، وكذلك لكي يفقد الشيخ الجبري النفوذ والمكانة التي يتمتع بها بين تلك القبائل، وبذلك يسهل لسعيد بن سلطان تنفيذ المرحلة الثانية من خطته وهي التخلص من الشيخ الجبري نفسه من دون أن يتوقع قيام مقاومة عنيفة له.

مهما يكن من أمر فإن السلطان سعيد بن سلطان بعد أن أشاع بأن الشيخ الجبري هو القاتل قام باستدراجه ثم ألقى به في السجن في خريف عام ١٨٠٧ وانتزع منه قلعته سمائل، فكان هذا الحادث نقطة تحول في العلاقات ما بين الشيخ محمد بن ناصر الجبري، والسلطان يعيد بن سلطان البوسعيدي.

لم يلبث الشيخ الجبري في السجن إلا فترة قصيرة، حيث انصاع خصمه لضغوط عائلية قوية وذلك بتدخل عمة السلطان موزه بنت اللكان أحمد، فأخرجه

(٤٣) الدولة السعودية الأولى، ٩٨، Miles, 309-10.

من السجن وحدد مكان اقامته، ربما لكي تسنح الفرصة بعدها للفتك به لكن الشيخ محمد الجبري تمكن من مغادرة مكان اقامته بسرعة إلى قاعدته سمائل، حيث غادرها بعد فترة قصيرة إلى الظاهرة وسط توديع حافل من أكابر زعماء النزارية وحلفائهم اليمانية من دون أن يخبرهم بالجهة التي سوف يقصدها، بل اكتفى بالرد على تساؤلاتهم «إن الفرج قريب». غادر زعيم الجبور منطقة الظاهرة، بعد فترة، متوجهاً إلى الدرعية عاصمة الدولة السعودية، حيث كانت شهرته قد سبقته إليها، وهناك استقبله الامام سعود بن عبدالعزيز بالترحاب واكرام وفادته(٤٤).

ويمكن القول بأن لجوء زعيم الجبور إلى الدرعية وتحوله إلى سند قوي للسعوديين يجب أن ينظر إليه على أنه نقطة تحول في تاريخ النفوذ السعودي في عمان. وقد وجد الأمير سعود بن عبدالعزيز في لجوء الشيخ محمد بن ناصر الجبري إليه، فرصة لإعداد حملة قوية إلى عمان، حيث أسند قيادتها إلى قائده الشهير مطلق بن محمد المطيري. تخلف زعيم الجبور فترة من الزمن في الدرعية ولم يرافق حملة المطيري(٤٥)، ويبدو أن ذلك كان لغرض تلقي بعض الدروس الدينية واستيعاب آراء الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأفكاره الاصلاحية، ويفهم من كلام المؤرخ العماني السالمي بأن الشيخ محمد الجبري قد استوعب هذه الدروس الدينية، إذ قال عنه «بأن المشهور عند العامة أنه كان وهابياً»(٤٦).

التحق الشيخ محمد بن ناصر الجبري بمطلق المطيري في عمان وأخذا يعملان بالتنسيق فيما بينهما على القيام بهجوم كاسح على مناطق مختلفة من عمان، وقد أخذت أعداد كبيرة من القبائل تلتف حولهما وتشكلت بذلك جبهة سعودية قوية في عمان.

شملت نجماتهم الحديدة كل من صحار ومدن وقرى من عمان الداخل، كان من بينها نزوي وسمايل، وحققوا في جميع هجماتهم انتصارات كبيرة، ولم تفلح

---

(٤٤) الفتح المبين، ٤٩٤ - ٤٩٦، Miles, 312.

(٤٥) الفتح المبين ٤٩٦.

(٤٦) تحفة الأعيان، ٢/٢٠٨، ٢١٣.

الهجمات المعاكسة التي قام بها سعيد بن سلطان البوسعيدي وقريبه عزان بن قيس حاكم صحار في ايقاف اندفاع القوات الموالية للسعوديين(٤٧).

على أثر الانتصارات الكاسحة التي حققتها القوات السعودية ومؤيديهم بقيادة مطلق المطيري والشيخ محمد الجبري، شعر سلطان عمان سعيد بن سلطان بأن الموقف قد خرج من يديه، لذا فقد لجأ إلى حكام ايران متوسلاً المساعدة منهم واضعاً مصير بلاده بين أيديهم مثلما فعل بعض من قادة عمان الذين سبقوه. وقد أمده حكام ايران بثلاثة آلاف مقاتل أبحروا من بندر عَباس ونزلوا في ميناء بركه عام ١٨١٠، فما كان من شيخ الجبور محمد بن ناصر الجبري إلا أن سارع بقواته من سمائل إلى البريمي حيث التقى بالقائد السعودي مطلق المطيري، فزحفوا سوية نحو قوات الامام سعيد ومن معه من العجم في أزكي، وجرت معركة حامية بين الطرفين حققت فيها قوات الجبهة السعودية انتصاراً كبيراً وقتلوا أعداداً كبيرة من قوات الامام وقوات العجم وأرغموا الباقين على الفرار. ولقد كانت شخصية شيخ الجبور القيادية بارزة في ادارة هذه المعارك، والغريب أن الباحث الانكليزي كيلي يذكر بأن الشيخ محمد بن ناصر الجبري كان قد اندحر هو وقواته أمام العجم وإن الفوز كان للآخيرين، إن هذا القول يناقض ما ذكره ابن رزيق المؤرخ العماني المعاصر للأحداث والذي تنقل عنه عادة المصادر الاوروبية(٤٨)، لذا فإن من المحتمل جداً أن يكون كيلي قد وقع في خطأ نتيجة الالتباس وعدم التحري الدقيق في هذه الواقعة.

مهما يكن من أمر فإن النجاحات المتوالية التي حققها السعوديون في عمان خلال عشر سنوات كانت كافية لأن تجعل منهم القوة الرئيسية والمهابة جداً وان

(٤٧) **الفتح المبين**، ٤٩٧ - ٥٠٤، السالمي، ١٩٨/٢، ابن بشر، **عنوان المجد**، ١٤٣/١ - ٤٤. على الرغم من أن كتاب دولة بوسعيد في عمان وشرق الجزيرة العربية هو خير ما كتب بالعربية عن عمان خلال هذه الفترة، إلا أن مؤلفة قد أغفل تماماً دور الجبور وزعيمهم الشيخ محمد بن ناصر الجبري وقيادته القبائل الغفارية. بل أن جهله بدور الجبو قد أوقعه في أخطاء كثيرة، فعلى سبيل المثال كان ينسب للدور الذي قام به زعيم الجبور إلى زعيم آخر اسمه حميد بن ناصر الغافري. راجع المصدر المذكور، ١٥٠ Kelly, 110.

(٤٨) **الفتح المبين** ٥١٠ - ٥١٤، Kelly, 112.

تخضع لسيطرتهم مناطق واسعة من البلاد وإن يدين بالتبعية السياسية والدينية عدد كبير من السكان فيها، بخاصة في المناطق الشمالية والداخلية.

وبوصول ولَدَي الأمير سعود بن عبدالعزيز المفاجيء إلى البريمي، وهما الأمير تركي وفيصل، قام مطلق المطيري بتسليم القيادة لهما فساروا بقوات صغيرة ومعهم قوات راشد بن حميد النعيمي شيخ العجمان، لمهاجمة بعض الحصون على ساحل عمان، فحاقت بهم الهزيمة، الأمر الذي دعى مطلق المطيري إلى الطلب من شيخ الجبور محمد بن ناصر الجبري بسرعة انجادهما فلب الطلب حيث هاجم ميناء بركه وكذلك مطرح واستولى عليهما ثم هاجم مسقط نفسها. على أثر هذه الانتصارات أصبح الطريق ممهداً للقوات السعودية التي تكاثرت لتوسيع نطاق هجومها، حيث سيطروا على طبري وصور على الساحل واستمروا في زحفهم بمحاذاة الساحل حتى وصلوا إلى رأس الحد، ثم منطقة جعلان. وبعد هذه الانتصارات الواسعة عادت القوات السعودية وقوات الشيخ الجبري إلى مراكزها في البريمي وأزكي[٤٩].

إن من الطبيعي أن يحاول السلطان سعيد بن سلطان البوسعيدي انتهاز أية بارقة أمل يمكن أن تساعده على التخلص من النفوذ السعودي الواسع في عمان، لذا فأنه وجد في خروج حليف السعوديين سلطان بن صقر القاسمي الهولي عليهم فرصة للتعاون معه ضدهم، لكن القائد السعودي مطلق المطيري عندما علم بذلك سارع لضرب هذا التحالف بالتعاون مع الشيخ محمد ناصر الجبري. لقد بولغ في عدد القوات التي تم حشدها من قبل المطيري والجبري حتى قيل بأنها حوالي الأربعين ألف مقاتل هاجموا بها ميناء صحار وأرغموا حاكمها عزان بن قيس على الخضوع للسعوديين، ثم توجهوا بعد ذلك نحو مسقط فأثاروا خوف السلطان سعيد الذي سارع إلى خيمة القائد السعودي مطلق المطيري، ليعلن خضوعه للدولة السعودية وليقوم بدفع مبلغ كبير من المال رمزاً لهذه التبعية. وبعد أن انجزت قوات الجبري والمطيري هذه الانتصارات الواسعة عادت إلى مواقعها، لكن مطلقاً المطيري لم يبق

(٤٩) الفتح المبين، ٥١٥ - ٦١٧.

بعدها في مسقط فترة طويلة، بل غادرها إلى الدرعية عام ١٢٢٥/١٨١٠ وسلم قيادة القوات السعودية في عمان إلى القائد الجديد عبدالعزيز بن غردقة[٥٠].

- ٥ -

عودة العلاقات بين سلطان عمان وشيخ الجبور

لقد تعرض السعوديون ابتداءً من عام ١٢٢٨/١٨١٣ إلى نكسان قاسية لا في عمان فحسب بل في كل من الحجاز ونجد كان من نتيجتها أن تزعزع الحلم الذي كاد أن يتحقق وهو توحيد جزيرة العرب. لم تمض مدة طويلة على مجيء القائد السعودي ابن غردقة إلى عمان حتى قتل في إحدى المعارك، مما حمل الأمير سعود بن عبدالعزيز على ارسال مطلق المطيري مجدداً إلى عمان لمعالجة الموقف، لكن مطلقاً قتل هو الآخر بعد مضي فترة قصيرة في منطقة جعلان عام ١٢٢٨/١٨١٣ في معركة جانبية صغيرة[٥١] فشكل مقتل هذا القائد الشهير خسارة كبيرة للنفوذ السعودي في عمان.

لم يحل عام ١٢٢٩هـ/١٨١٤م حتى تعرضت الدولة السعودية إلى خسارة كبيرة بوفاة زعيمها الكبير الأمير سعود بن عبدالعزيز. وفي ظل هذه الظروف بدأ حاكم مصر الألباني محمد علم باشا حملته الكبيرة لتدمير الدولة السعودية فانشغل السعوديون بمدافعة قواته في الحجاز ثم في نجد بضع سنوات إلى أن انتهى الأمر باستيلاء قائد القوات المصرية - العثمانية ابراهيم باشا علم الدرعية عام ١٢٢٣/١٨١٨ وتدميرها.

مهما يكن في أمر فإن الأوضاع التي أشرنا إليها أعلاه قد انعكس أثرها على القوى المتصارعة في عمان. فقد أدرك سلطان عمان سعيد بن سلطان بأن الظروف مواتية لإعادة العلاقات الطبيعية بينه وبين حليفه السابق شيخ الجبور محمد بن ناصر الجبري، خصوصاً بعد أن تثبت له خلال السنوات الأربعة القاسية التي مرت منذ ابتعاد شيخ الجبور وانضمامه إلى صفوف السعودين بأنه قد ارتكب خطأً سياسياً كبيراً عندما فرط بشيخ الجبور. لذا فقد قام سعيد بن سلطان بارسال مندوب عنه

---

(٥٠) المصدر السابق، ٥١٧ - ٢١.
(٥١) الفتح المبين، ٥٢١ - ٢٣.

لاسترضاء الشيخ محمد بن ناصر الجبري وعرض عليه ما يريد من الأموال والحصون على أن يكف عن مساندة خصومه أياً كانوا فقبل شيخ الجبور ذلك(٥٢).

ومما هو جدير بالذكر أن كيلي قد ذكر بأن الشيخ محمد بن ناصر الجبري كان قد سبق له أن تصالح مع سعيد بن سلطان بعد عودته من الدرعية وقتاله إلى جانب القوات السعودية، وإن الذي دفعه إلى ذلك هو استنكاره لقسوة القائد السعودي مطلق المطيري، ويضيف كيلي القول بأن سعيد بن سلطان أودع شيخ الجبور السجن فترة قصيرة ثم أطلق سراحه فما كان من الأخير إلا أن عاد مرة أخرى إلى صفوف السعوديين(٥٣). إن مثل هذا القول من جانب كيلي ما هو إلا خلط بين الأحداث، وإن ابن رزق المصدر الرئيسي والمعاصر للأحداث لم يذكر مثل هذا الأمر على الاطلاق.

إن شيخ الجبور لكي يثبت لسلطان عمان صدق موقفه الجديد، استجاب لطلبه بالتعدي للقوات السعودية التي ظهرت من جديد بقيراد، بتال المطيري شقيق مطلق المطيري. ويبدو أن الشيخ محمد بن ناصر الجبري قد نجح في اقناع القائد السعودي الجديد بترك محاربة سلطان عمان والانضمام إليه في تحالفه معه، حيث نرى بأن شيخ الجبور قام بهدم حصن البريمي من دون مقاومة. لقد كان من نتائج ذلك أن ارتفعت منزلة شيخ الجبور عند سلطان عمان وأخذت تزول من نفسه آثار صراعات الماضي، لذا فقد أكرمه غاية الاكرام»(٥٤).

ويذكر ابن رزق بأنه عندما حارب سعيد بن سلطان عام **١٢٣٥**هـ/**١٨١٩** - **٢٠**م أحد الثائرين عليه في منطقة جعلان المدعو محمد بن علم، تراجعت مهزومة جميع قوات سلطان عمان، بما فيهم الانكليز الذين كانوا يحاربون إلى جانبه، ولم يصمد معه في ميدان المعركة غير شيخ الجبور وأصحابه وبتال المطيري وأصحابه(٥٥).

---

(٥٢) المصدر السابق، ٢٥٦.

(٥٣) Kelly, 125.

(٥٤) الفتح المبين، ٥٣٢.

(٥٥) المصدر السابق ٥٣٢ - ٣٣.

كما أننا نجد بأن شيخ الجبور قد شارك سلطان عمان في الحملة الفاشلة ضد جزيرة البحرين عام ١٢٣٦/١٨٢٠ - ٢١. ويقول ابن رزق بأن الشيخ محمد بن ناصر الجبري كان قد نصح سعيد بن سلطان بتأجيل هذه الحملة بعد أن أخذ الطاعون ينتشر بين جنود الحملة، إلا أن سعيداً رفض ذلك[٥٦]. لم تقتصر مواقف الجبور في اسناده ومؤازرته لسعيد بن سلطان على ذلك، بل انه أنقذ ملكه عدة مرات. فعندما حاول حاكم صحار حمود بن عزان بن قيس استغلال تغيب سعيد بن سلطان في ممتلكاته في زنجبار وشرق افريقيا، وأخذ يمد نفوذه على لوى وشناش والخابورة في المنطقة الساحلية، تزايدت المخاوف من احتمال قيام حمود أيضاً بالاستيلاء على مسقط لذا فقد سارع الشيخ محمد بن ناصر الجبري لنجدة مسقط على رأس قوة تتألف من (١٥٠٠) رجل من اتباعه النزارية، الذي كان قد وصف ولاءهم له بقوله: (النزارية ولا فخر يميلون حيث أميل).

ما أن علم حمود بن عزان بذلك حتى خاف ربما يؤدي إلى قيام القبائل النزارية في منطقة الظاهرة وواحات تؤام بمناصرة شيخ الجبور ولقد تحقق تقدير حاكم صحار للموقف فعلاً، حيث قامت قبائل بني نعيم بمهاجمة صحار واتباع حاكمها، وذلك بعد أن علموا بأن الشيخ محمد بن ناصر الجبري مترصد لحمود بن عزان في مسقط، وكانت النتيجة أن ارتبكت خطط عزان تماماً.

على أثر وصول أنباء تمرد حمود بن عزان إلى سعيد بن سلطان، عاد مسرعاً إلى مسقط والتقى بالشيخ محمد بن ناصر الجبري وأبدى شكره العميق له للموقف الذي وقفه في الدفاع عن مسقط، وتقديراً لهذا الجهد أعطاه السلطان حصن سمايل، كما عين أخاه علي بن ناصر الجبري حاكمًا على زنجبار حيث مات فيها بعد أن حكمها مدة ثلاث سنوات[٥٨].

لم يمكث السلطان سعيد طويلاً في مسقط بل عاد إلى زنحبار بعد اطمئنانه على استقرار الأوضاع، لكن حاكم ميناء بركة المدعو سعود بن علي بن سيف قام

---

(٥٦) الفتح المبين، ٥٣٦ - ٣٧.

(٥٧) المصدر السابق ٥٣٩ - ٤١.

(٥٨) الفتح المبين، ٥٤١ فـ عبدالله بن صالح الفارسي، البو سعيديون القاهرة، ١٩٧٩، ٥٣٠
ورد لقب علي في هذا الكتاب الجابري بدلاً من الجبري وهو خطأ واضح.

باستدراج حاكم مسقط هلال بن السلطان سعيد واعتقله في بركة، الأمر الذي أثار مخاوف شديدة لدى أسرة السلطان سعيد من احتماله قيام حاكم بركه باحتلال مسقط. لذا سارعت فوزة بنت الامام أحمد بن سعيد وعمة السلطان سعيد والتي ترتبط بالجبور من جهة أمها وصاحبة النفوذ الكبير في الأسرة البوسعيدية بالاستنجاد بالشيخ محمد بن ناصر الجبري لحماية مسقط من الأخطار التي تتهددها، فسارع شيخ الجبور مع أتباعه إلى مسقط وأحكم السيطرة عليها تماماً. على أثر ذلك سارع السلطان سعيد بالعودة إلى مسقط للاشراف بنفسه شخصياً على معالجة الموقف. وقد تمت تسوية الأمر بالصلح مع المتمرد بعد أن قام شيخ الجبور بدور الوسيط والكفيل، وذلك تلبية «الطلب المتمرد نفسه»(٥٩).

إن آخر دعم واسناد قدمه شيخ الجبور قبل وفاته للسلطان سعيد هو أنه في عام ١٢٤٨/١٨٣٢ وقف ومعه معظم القبائل النزارية ضد حمود بن عزان الذي كان قد استغل الفتنة التي حدثت في الميثاق وقام بالاستلاء عليها، وقد فرض شيخ الجبري حصارا شديدا على ميناء صحار معقل حمود، مما أرغم الأمير على أن يسارع للمصالحة مع السلطان سعيد(٦٠).

توفي شيخ الجبور محمد بن ناصر الجبري في ربيع عام ١٢٥٠/حزيران ١٨٣٤ وهو يستعد للهجوم على الرستاق، بعد أن علم أن سكان هذه المدينة يستعدون للقيام بتمرد ضد السلطان سعيد وذلك بالتعاون مع حمود بن عزان(٦١).

بوفاة الشيخ محمد بن ناصر الجبري، يكون السلطان سعيد بن سلطان وأفراد عائلته، قد فقدوا أقوى مناصريهم، كما أن مسقط أيضاً تكون قد فقدت أقوى المدافعين عنها من احتمالات استيلاء حمود بن عزان عليها بل ان وقوف شيخ الجبور بقوة إلى جانب السلطان سعيد قد أنقذ ملك الأخير من السقوط بيد خصمه العنيد حمود بن عزان(٦٢).

---

(٥٩) المصدر السابق، ٥٤٢ - ٤٣. Miles, 333-34.

(٦٠) المصدر السابق، ٥٤٤ - ٤٥.

(٦١) المصدر السابق، ٥٤٧ - ٤٨.

(٦٢) Kelly, 144, 227, 243-44.

إن النفوذ الواسع الذي كان يتمتع به الشيخ محمد بن ناصر الجبري في عهد السلطان سعيد والقوة الكثيفة التي تدين له بالولاء، أديا في الواقع إلى إثارة مخاوف زعماء الأباضية عموماً من احتمال قيام شيخ الجبور بالاستيلاء على السلطة في عمان. لقد عبر الزعيم الأباضي السالمي عن هذه المخاوف بقوله «بأنه بعد ضعف ملك السلطان سعيد بن سلطان، كان هناك خوف من أن يتولى السلطنة في عمان الجائر الظالم محمد بن ناصر الجبري، فلا يؤمن منه إذا ملكه في عمان أن يدعو الناس إلى مذهب الجور والعدوان[٦٣].

والذي يفهم من كلام السالمي، بالإضافة إلى ما يتمتع به شيخ الجبور من نفوذ وقوة كبيرتين، فإنه كان قد بقي متعاطفاً مع السعوديين ولم يتخل عن ايمانه بالأفكار السلفية التي كان قد نادى بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والتي سبق له أن تقبلها خلال زيارته للدرعية، وقاتل من أجل كل ذلك إلى جانب القوات السعودية في عمان حتى سقوط الدرعية.

إن السالمي يصنف الشيخ محمد بن ناصر الجبري في موضوع آخر «بأنه جبار عنيداً، وهو على غير مذهب الحق». كما أنه وصف مذهب شيخ الجبور من فقرة أُخرى بأنه حنفي، وربما أراد أن يقول بأنه حنبلي، لأنه قد استدرك فقال «بأن المشهور عند العامة أنه وهابي»[٦٤].

إن في عبارات السالمي السالفة الذكر دلالة واضحة على كون شيخ الجبور محمد بن ناصر قد بقي على ولائه للسعوديين ولدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأنه لم تتخل عنها حتى بعد عودة العلاقة الحسنة بينه وبين سلطان عمان سعيد. ويمكن أن نستنتج من ذلك أن نفوذ السعوديين في عمان لم يختفِ أو يتلاشى بعد المصير المفجع الذي لقيته الدولة السعودية على يد حاكم مصر الألباني محمد علي باشا، وذلك لبقاء شيخ الحبور ومعه أعداد كبيرة من قبائل عمان على ولائها لهم.

(٦٣) السالمي، المصدر السابق ٢/٢٠٨، ٢١٣.

(٦٤) المصدر السابق، نفس الصفحات.

-٦-

انحلال نفوذ الجبور واختفاؤهم من المسرح السياسي

بعد وفاة الشيخ محمد بن ناصر بن محمد الجبوري، انتقلت زعامة القبائل النزارية في عمان إلى ولده الشيخ جبر، ثم أعقبه في هذه الزعامة علي بن جبر بن محمد الجبري.

حاول الشيخ علي بن جبر الجبري أن يقيم علاقة حسنة مع سلطان عمان عزان بن قيس بن عزان بن قيس البوسعيدي (١٨٧١-١٦٩) وقدم له بعض الخدمات كان من أبرزها حماية اتباع عزان من تعرض القبائل النزارية لهم[٦٥] لكن السلطان عزان كان قد أضمر الانتقام من الجبور وتجريدهم من السلطة والنفوذ، فما أن ثبت مركزه في السلطة حتى قام بانتزاع حصن أزكى من الشيخ علي بن جبير بن محمد الجبري، كما أخذ ينكل بالجبور ويصادر أموالهم، وكما من بين ما صادره الأموال التي خلفها الشيخ محمد بن ناصر الجبري[٦٦].

والواقع أن تجرؤ السلطان عزان بن قيس على التنكيل بالجبور يدل على ضعفهم وانحلال أمرهم بعبد وفاة شيخهم الكبير محمد بن ناصر الجبوري، وان أسرة الشيخ الجبري التي وضعها السالمي يقوله كان «لأهل هذا البيت شرف ورئاسة قبائل الغافري، وكانوا يعتبرون لهم منزلة السلطنة[٦٧]، قد أخذت بالضعف والانحلال حتى إننا لم نعد نجد لهم نشاطاً في عمان في الفترات التالية».

إن الكولونيل صموئيل بارت مايلز الذي عمل قنصلاً «عاماً» في مسقط في الثمانينات من القرن التاسع عشر، فحينما عدَّد قبائل عمان ذكر بأن الجبور يقيمون في وادي سمائل[٦٨] أي مواطنهم السابقة أما سالم السيابي فحينما عدَّد قبائل عمان قسم الجبور إلى قسمين فالقسم الأول منهم قال عنهم بأنهم المحمد بن ناصر بن محمد بن سيف ناصر بن ناصر بن ناصر بن قطن بن قطن بن قطن بن هلال بن زامل الجبري العقلي أي الفخذ الذي كانت زعامته في السابق تتركز في الاحساء،

(٦٥) السالمي، ٢/٢٤٢.

(٦٦) المصدر السابق، ٢/٢٥٧.

(٦٧) المصدر السابق، ٢/٢٦٣.

(٦٨) Miles, 429.

أما القسم الثاني فقال عنهم بأنهم ذراري محمد بن ناصر ويقيمون في سمائل، ولهم منزلة السلطنة في الوادي قديماً، ومنهم سعد بن علي بن جبر بن محمد بن ناصر(٦٩).

ويبدو لنا بأن الجبور قد اضمحل أمرهم تماماً كقوة سياسية في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، وأصبح شأنهم شأن بقية القبائل العمانية الكثيرة التي لا تأثير لها في الحياة السياسية وبذلك انطوت صفحة قبائل بني عامر الذين كانوا في السابق أكبر قوة سياسية على امتداد شرق الجزيرة العربية.

(٦٩) إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان ٥٦ - ٥٨.